الأماكن المقدسة في مدينتي القدس والخليل من خلال كتب الجغرافيا والرحلات المغربية والأندلسية من القرن 5 - 8 هـ (11 - 14م)

نواف عبدالعزيز الجحمة

مدرس بالجامعة العربية المفترحة ، الكويت .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية 39 العدد 23/90

الملخص

يسعى البحث إلى تحري الأماكن المقدسة في هاتين المعلمتين من خلال المدونات الرحلية المغربية في الفترة الممتدة من القرن السادس الهجري إلى القرن الثامن الهجري أي (12 إلى 14م) . هذا ، ويتقصّى البحث أهم المقدسات الإسلامية ؛ حيث صورة المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة ببيت المقدس ، ومقابر الأنبياء عليهم السلام في مدينة الخليل ، وكذلك المشاهد والمزارات الذمية (اليهودية والمسيحية) في العصرين الأيوبي والمملوكي . ومن خلال الإفادات والإسهامات الرحلية المغربية والأندلسية نستطيع أن نتبين الخريطة الدينية للأماكن المقدسة في مدينتي القدس والخليل ، والدور البارز الذي قامت به الدولة الإسلامية في الاهتمام والعناية بالمقدسات الدينية في تلك الفترة التاريخية قيد البحث .

اقتصر اهتمام الباحثين في المعالم الدينية والحركة الثقافية في بيت المقدس ومدينة الخليل عليه السلام على التآليف والإفادات المشرقية ، في حين حظيت إسهامات التآليف المغربية والأندلسية بنصيب قليل من الاهتمام والعناية البحثية[1] . على أن المغرب متأخر زمناً عن المشرق في الإنتاج الجغرافي وتدوين الرحلات ، إلا أن الغايات الدينية في الجمع بين زيارة بيت المقدس والخليل وزيارة المصطفى وزيارة المساجد الثلاثة في عام واحد ، والمشاركات العسكرية مع إخوانهم في بلاد المشرق في فترة انطلاق الحروب الصليبية ، أتاح لهم مزيداً من التعرف إلى أهم المشاهد والمزارات المقدسة ، ومن ثم فتحت الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى الثامن للهجرة (11-14م) منفذاً واسعاً للكتابة عن هاتين المعلمتين المهمتين في المأثور الإسلامي .

هذا ، إضافة إلى أن المدونات الرحلية تبرهن في الظروف الحاضرة على أن المسلمين اهتموا ببيت المقدس والخليل طيلة تلك الفترة ، أرضاً للسلام وملتقى لأهل الإيمان من كل جهات الأرض ، ومنارتين من منارات التأريخ الإيماني للبشرية جمعاء .

وبناء على هذا التقديم الموجز ، ارتأينا تقسيم عناصر هذا البحث إلى محورين اثنين رئيسين :

أولاً ـ المقدسات الإسلامية

ثانياً ـ مزارات أهل الذمة

ولا بأس هنا من تقديم بطاقات تعريف تتخيرها هذه الدراسة من كتب الجغرافيا والرحلات المغربية والأندلسية وعددها سبعة ، مرتبة حسب التسلسل التاريخي :

1 ـ ترتيب الرحلة للترغيب في الملة

لابن العربي : محمد بن عبدالله ، أبو بكر ، دفين فاس (ت543هـ/ 1148م)[2] ولم يعثر إلى الآن على المؤلف المذكور كاملاً ، وما لدينا

منه نقول في كتب ، وبعضها للمؤلف في صورة مقدمة «**قانون التأويل**» المخطوط بالخزانة العامة تحت رقم ك251 ، يشير فيه إلى أسباب الرحلة ، والشيوخ الذين أخذ عنهم بالمشرق ، وبعضها لغيره كالمقري الذي أورد في «**نفح الطيب**» ، تحقيق إحسان عباس ، ج2 ، بيروت ، 1958م . كما وردت نصوص عن أبي بكر بن العربي في كتابه «**شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان**» . مخطوط خ .ع .د 1020 . حيث حققت ذلك الدكتورة عصمت دندش ونشرته في مجلة المناهل ، ع9 .

2 ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

للشريف الإدريسي : محمد بن محمد بن عبدالله الحسني العالي بأمر الله ، السبتي ، المتوفى عام (564هـ/ 1160م)[3] .

3 ـ رحلة بنيامين التطيلي الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي

التطيلي : بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي ، رحل سنة (561هـ/ 1163م)[4] ترجمت الرحلة إلى اللغة العربية ، وقام بها عزرا حداد ، وصدرت في بغداد عام 1945م ، وقد اشتمل الكتاب على جميع المراجع العبرية المتعلقة برحلة بنيامين مع المراجع العربية .

4 ـ تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار

اسم رحلة ابن جبير : محمد بن أحمد الكناني البلنسي : المتوفى عام (614هـ/ 1217م)[5] .

5 ـ رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية

للعبدري : محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي : تاريخ وفاته غير معروف[6] ، وكانت رحلته إلى الحج في سنة (688هـ/ 1289م) .

6 ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار

لابن بطوطة : محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي : استمرت حياته إلى عام (779هـ/ 1368م)[7] .

7 ـ تاج المفرق ، في تحلية علماء المشرق

للبلوي : خالد بن عيسى بن أحمد الأندلسي الفنتوري (رحل عام 737هـ/ 1336م) ، وكان حيّاً عام (755هـ/ 1354م)[8] .

أولاً ـ المقدسات الإسلامية

1 ـ صورة المسجد الأقصى وقبة الصخرة ببيت المقدس

كان جل حجاج المغاربة يمرون بفلسطين عند رجوعهم من الحج ، لينعموا برؤية مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحققوا الأجر في الرحلة إلى ثالث الحرمين ، استناداً لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر أفضلية شد الرحال إليه ، والإهلال بالحج والعمرة منه : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا» ، وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة»[8] .

من أجل ذلك ، عرج عليه عشرات بل مئات من المغاربة الأعلام ممن كانوا نبراساً يهتدى به في الديار المغربية ، فكانوا يعطرون بذكره المجالس ، وكانوا يروون عن الأئمة الأعلام الذين صادفوهم هناك[9] . ومن أوائل السفراء المغاربة الذين زاروا بيت المقدس القاضي الإمام عبدالله بن العربي الذي رحل في عهد الدولة المرابطية بصحبة ولده القاضي أبي بكر سنة 485هـ/ 1092م ، في سفارة سياسية لدى الخليفة المستظهر العباسي[10] من قِبَل السلطان يوسف بن

تاشفين[11] . وهذا القاضي أبو بكر هو صاحب الرحلة التي اشتهر أمرها بين المتقدمين فنقلوا منها ما شاء الله أن ينقلوا . لقد وصل القاضي أبو بكر بصحبة أبيه إلى بيت المقدس ، وكان فيها الإمام المشهور أبو بكر الطرطوشي الفهري[12] الذي يعد من كبار علماء المالكية بالأندلس آنذاك ، وهو كابن العربي ، خرج من بلاده في زيارة القدس ، وقد ظفر من لقائه بالإمام بالإفادة العلمية[13] .

ونجد أن الرحالة العبدري الذي أقام ببيت المقدس خمسة أيام قد لفت انتباهه المميزات التي اختصت بها تلك المدينة من المشاهد المقدسة ؛ يقول واصفاً : «ثم وصلنا ببيت المقدس زاده الله تعظيماً : ويحفه مبرة دائمة وتكريماً . . . وبها رباطان متقاربان في غاية الإتقان ، بنى أحدهما الملك المنصور ، وبنى الآخر الأمير علاء الدين الأعمى ، وفي كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل» . . .[14] وقد وصف العبدري المسجد الأقصى بأنه من المساجد الرائقة العجيبة المنشرحة الفسيحة ، وبعد أن ينقل عن الجغرافي أبي عبيدالله البكري[15] الذي اعتمد في إفادته على غيره ، يقول : «إن المسجد كله فضاء غير مسقف إلا الناحية الغربية . . . وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة وهي من أعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنها وأغربها ، وقد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة ، وتلت من الإتقان ظاهره ونصّه . . . وَصفَتُها أنها قبة مثمنة على نشز وسط المسجد . . . وأما الذهب فما رأيته مبتذلاً في شيء ابتذاله في هذه القبة !» [16] .

ثم يتحدث العبدري عن الصخرة الشريفة التي جاء ذكرها في الآثار ، وأنه عليه السلام عرج عنها إلى السماء . وصفَتُها هي «صخرة صماء ، علوها أقل من القامة ، وتحتها شبه مغارة على مقدار بيت صغير يعلو قدر القامة وينزل إليه في درج وقد هيئ له محراب ، وعلى الصخرة شباكان محكمان يغلقان عليها : أحدهما وهو الخارج من الخشب ، والآخر من حديد أصفر محكم العمل بديع الصنعة[17] . وفي القبة صورة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك وأظنها مرآة ، ولكنها قد صدئت وزال صقالها . والعوام تقول إنها درقة حمزة . واشتهر عندهم

هذا الزور حتى صار في حد المقطوع به»[18] . وبعد العبدري يأتي شيخ الرحالة ابن بطوطة الذي وصل إلى بيت المقدس في سنة 725هـ/ 1325م في عصر سلاطين المماليك . وقد زار المسجد الأقصى أكثر من مرة ، إلا أن وصفه لبيت المقدس كان في الزيارة الأولى . يقول : «ثم وصلنا إلى بيت المقدس - شرفه الله - ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ، ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومعرجه إلى السماء» . . أما وصفه للمسجد الأقصى بأنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه . . . وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاثة . وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا باباً واحداً وهو الذي يدخل منه الإمام ، والمسجد كله غير مسقف إلا المسجد الأقصى فهو مسقف ، في النهاية من إحكام العمل وإتقان الصفة ، مموّه بالذهب والأصبغة الرائعة . .[19]» . ولقد تحدث ابن بطوطة عن قبة الصخرة الكريمة ، كما هو الحال عند العبدري ، لكن لم يضف على وصفه شيء يذكر . وقد حط ركب البلوي في مدينة القدس ضحوة يوم الأحد الثاني من شعبان عام 737هـ/ 1337م . وهنا يصف المدينة بأنها بلدة «الأفق المميز ونجمه . . سامية الارتفاع ، مشرفة البقاع ، مباركة الأغوار والقلاع ، تشهد لسكانها بالثراء والسنا . . ظل ظليل وماء سلسبيل . . ولقد قصد الحرم الشريف والمسجد العظيم المنبثق ، الذي بارك الله حوله وعرفت كل أمة فضله : المسجد الأقصى موضع المعراج والإسراء . . وهذا المسجد الشريف هو أعظم المساجد في الدنيا» . .[20] وينفرد البلوي بعنايته الفائقة بتسجيل المنقوشات التاريخية والنصوص التأسيسية ، وهذا إن دل ، فإنما يدل على ما يتمتع به الرحالة من دقة الملاحظة في تدوين كل ما يشاهده ؛ لأن بعض من سبقه أهملها افتياتاً وكسلاً . لذا تحتل نصوصه المكانة التاريخية بوصفها مصدراً لتأريخ العمائر الدينية في هذه البقعة المقدسة . وفي معرض حديثه عن المحراب المقدس في المسجد الأقصى ذكر أنه نقش في أعلاه بالمذهب أربعة أسطر ما نصه : «أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبدالله ووليه يوسف بن أيوب المظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا[21] عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

(1187م) ، وهو يسأل الله إيزاعه بشكر هذه النعمة ، وإجزال حظه في المغفرة والرحمة . .»[22] . أما وصفه – (قبة الصخرة الكريمة) فقد ذكر فيه أنه كتب في وسطها بالذهب في أرض سماوية لازوردية على الدائرة ما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم – أمر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الناصر العالم العادل المجاهد المؤيد من السماء ، ناصر الدنيا والدين ، محيي العدل في العالمين ، وظل الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، محرر ممالك الدنيا ، ومظهر كلمة الله العليا ، مشيد أركان الشريعة الشريفة ، سلطان الإسلام ، الشهيد الملك المنصور قلاوون[23] تغمده الله برحمته ، وذلك في شهور سنة ثمان عشرة وسبعمائة (1318هـ)[24] . ومن قبل كان البلوي تحدث عن الصخرة الكريمة ، ووصفها ، كما هو الحال عند سابقيه ، غير أنه أضاف في الطرف القبلي من الصخرة الشريفة – أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم[25] ، يتبرك بها الناس ، ويمرغون خدودهم فيه[26] .

هكذا نجد أن الرحالة المغاربة يلتقون في المعلومات المتعلقة بالصخرة الكريمة ، وهذا هو ما نقرأه عند الرحالة المشارقة الذين دخلوا بيت المقدس ، فها هو الرحالة ناصر خسرو[27] الذي زار بيت المقدس عام 438هـ/ 1047م ، وزار قبة الصخرة ، وذكر أن الصخرة كانت قبلة لموسى وسليمان عليهما السلام ، وكانت قبلة إلى عهد نبينا عليه السلام ، فكان المصلون يولون وجوههم شطرها ، إلى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة[28] . أما الرحالة الهروي[29] الذي زار القدس سنة 569هـ/ 1184م فقد ذكر أنه رأى الصخرة في زمان حكم الفرنج بالقدس ، وأنه قرأ كتابة في سقفها هذه صورتها : بسم الله الرحمن الرحيم «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . .» إلى آخر الآية ، والكتابة بالفص المذهب . . ولم تغيره الفرنج . . تحتها مغارة الأرواح . . ذكروا أن أرواح المؤمنين يجمعها الله بها . وينزل إلى هذه المغارة في أربعة عشرة درجة . . .[30] .

وقد أفرد العمري[31] صاحب كتاب «مسالك الأبصار» القدس بفصل

خاص - ينقل عن التيفاشي في كتاب «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» أن المسجد الأقصى ، في قبة السلسلة كان مجلس داود عليه السلام ، وفيه أيضاً الموضع الذي عرج بالنبي عليه السلام بالملائكة على قبة يقال لها قبة الملائكة ، وفيه الصخرة التي كان يقرب عليها يوشع بن نون خلافة لموسى بن عمران .

وفيه محراب مريم ، وفيه متعبد زكريا ، وهو نفسه من بناء داود وسليمان - عليهما السلام -»[32] .

يتضح لنا مما سبق أن اهتمام الرحالة المغاربة ببيت المقدس ، لا يقل إطلاقاً عن اهتمامهم بمكة والمدينة ، فالخطوط العريضة في وصف المسجد الأقصى وقبة الصخرة الكريمة من قبل الرحالة ، هي مؤشر على إظهار القداسة الدينية لهذه المشاهد المباركة ، وقد اعتمدنا في ذلك كله على الإفادات والإسهامات المغربية بوصفها وثائق ومرجعيات تاريخية يستند إليها كما هو الحال مع الإفادات المشرقية .

2 ـ مقابر الأنبياء بمدينة الخليل[33] عليه السلام

هناك الكثير من المرويات تفيد فضل الخليل عليه الصلاة والسلام وفضل زيارته . يقول الله تعالى في كتابه العزيز : «واتخذ الله إبراهيم خليلا»[34] . من أجل ذلك ، عرج عليه الرحالة المغاربة بقصد الزيارة والتبرك ، عارفين بقدر المقام الكريم ، ومستأنسين بالصلاة والسلام على الأنبياء المرسلين ، ومتوجهين بعزم ورغبة في نيل الأجر والمثوبة والإقلاع عن الذنوب بالتوبة النصوح . يحدثنا الجوال الجغرافي المشهور الشريف الإدريسي السبتي (548هـ/ 1154م) - وهو شاهد عيان - صاحب نزهة «المشتاق في اختراق الآفاق» عن مدينة الخليل يقول : «إنها قرية ممدنة ، وبمسجدها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، كل قبر من قبورهم تجاه قبر امرأة صاحبه . وهذه المدينة في وهدة بين جبال كثيفة الأشجار أعني شجر الزيتون وفواكه كثيرة . .»[35] .

أما الرحالة العبدري فابتدأ بزيارة مدينة الخليل في سنة 688هـ يقول

واصفاً : «وفي داخل المسجد قبر الخليل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام[36] وتقابلهم من ناحية يسار القبلة ثلاثة أخرى وهي قبور أزواجهم . وقد نزلت إليه (الغار الكبير) وتأملته مراراً . . .»[37] . واستند العبدري على أدلة نصية تثبت صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . منها أنه قيد بخط المحدث الإمام أبي عبدالله محمد بن مفرج الأندلسي في تأليف علي بن جعفر الرازي كتاباً سماه «المسفر للقلوب» وقد روى فيه عن مؤلفه المذكور حديثاً صدر به التأليف مسنداً إلى أبي هريرة ، رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما أسري بي إلى بيت المقدس مر بي جبريل إلى قبر إبراهيم ، فقال انزل صلِّ ها هنا ركعتين فإن ها هنا قبر أبيك إبراهيم عليه السلام . . .»[38] .

ومنها أنه سمع من أحد العلماء أنه سئل عن قبر إبراهيم عليه السلام وعن صحبته ، فقال : ما رأيت أحداً من الشيوخ الذين لحقتهم من أهل العلم ، إلا وهم يصححون أن هذه قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأزواجهم ويقولون : ما يطعن في ذلك ، إلا رجل من أهل البدع ، وهكذا نقل الخلف عن السلف ليس عندي فيه شك . ولم يكتف العبدري في طرح مثل هذه الثبوتيات ؛ إذ وجدناه في موضع آخر يستند إلى رؤية قد رآها إمام مسجد قبر إبراهيم عليه السلام في ليلة النصف من شعبان ، يروى فيها خبر رؤيته للأنبياء عليهم السلام ووصفه إياهم على حسب الترتيب والشكل والهيئة[39] . أما الرحالة ابن بطوطة فلم يخرج عن مقالة العبدري ، إذ يؤكد لنا كل ما نقله الأخير عن صحة قبور الأنبياء عليهم السلام وأزواجهم في الغار داخل المسجد ، كما أنه في الوقت نفسه يستند إلى الوثائق والأخبار التي تبرهن على صحة كون القبور الثلاثة في ذلك الموضع ؛ منها : ما نقله من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه «المسفر للقلوب ، عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب»[40] ، كما استدل ابن بطوطة بالسماع على صحة القبور الثلاثة مع المدرس الصالح الإمام الخطيب برهان الدين الجعبري[41] الذي يصفه بأحد العلماء المرضيين والأئمة المشهورين . يقول : «سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك ، فقال لي : «كل من لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب على

نبينا وعليهم السلام ، وقبور زوجاتهم ، ولا يطعن في ذلك إلا أهل البدع ، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه[42] . وعلى الرغم من أن ابن بطوطة يتفق مع الرحالة العبدري حول مواضع قبور الأنبياء عليهم السلام ، فإن ابن بطوطة زاد عليهم بتعيين قبر سيدنا يوسف عليه السلام بداخل المسجد . وهذا ما لم تؤكده بعض المصادر . منها ما ذكره الهروي في كتابه الزيارات . يقول : «بلاطة قرية من أعمال نابلس وبها حقل يوسف الصديق ، وقبر يوسف بهذا الموضع عند الشجرة وهو الأصح . . .» [43] . أما الرحالة البلوي فقد دخل مدينة الخليل ضحوة الخميس التاسع من شعبان عام 737هـ/ 1337م ، ووجد فيها قصراً عظيم البركة ، ظاهر الرحمة ، لائح الأنوار ، كريم المآثر والآثار . . لقد أدى البلوي وصفاً جميلاً للمسجد الأعظم الذي رأى من حسنه عجباً ، ومن بنيانه ما شئت فضة وذهبا . . وفي وسط المسجد الكريم تربة الخليل أبينا إبراهيم عليه السلام ، وأمامه ضريح زوجه رضوان الله عليها ، واتجاه ذلك من الجانب الجوفي قبة أخرى عظيمة القدر متناهية الإتقان ، تحتها ضريح النبي يعقوب عليه السلام ، وأمامه زوجه رضي الله عنها . والله سبحانه أعلم بصحة ذلك كله[44] . . . ويبدو أن البلوي يتفق مع ما ذهب إليه الرحالة المغاربة في معاينة القبور الثلاثة في ذلك الموضع ، لكنه في الوقت نفسه يتفق مع ما قاله ابن بطوطة في أن ضريح النبي يوسف الصديق عليه السلام بداخل المسجد الكريم .

أما صاحب كتاب «الأنس الجليل» - فيذكر أن الناس اختلفوا في ذلك ، إلا أن المشهور عند الناس هو أن قبر سيدنا يوسف عليه السلام في مدينة الخليل . أضف إلى ذلك ، أنه يرى أن هؤلاء الأنبياء الأربعة وهم : إبراهيم الخليل وولده إسحاق وولده يعقوب وولده يوسف قبورهم في محل واحد ، وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف[45] ، هذا ، وقد انفرد البلوي دون الرحالة في ذكر الزوار المترددين على الحرم الخليلي بغية الزيارة والتبرك . فها هو ذا يلاحظ أن ما بين المسجد الكريم والقبة الجوفية صحن عظيم كبير جداً ، فيه مجتمع يتعين الواردين والمقيمين من الأغنياء والفقراء ، والأمراء والكبراء للضيافة المباركة ، وتنعقد هذه الضيافة في كل يوم بعد صلاة العصر على توالي أحقاب

الدهر . ولقد كان البلوي ممن حضر مع جملتهم متبركاً بذلك[46] ، وبمقربة مدينة الخليل مزارات ومشاهد مقدسة - يذكر العبدري أنه زار تربة لوط عليه السلام[47] ، وهي على تل مرتفع منه على غور الشام ، وهنالك عاين بحيرة لوط ، وهو ماء مستبحر أجاج كماء البحر ، وهي منقطعة لا تتصل بالبحر ولا هي منه قريبة ، ويقال إنها موضع ديار قوم لوط[48] . ويلاحظ العبدري أن على قبر لوط عليه السلام بنية - وهو في بيت فيها مبيض مليح ، والقبر أيضاً مبيض ظاهر لا ستور عليه . . وبمقربة من هذه التربة مسجد اليقين[49] . . . وبالقرب من المسجد مغارة بها قبر يزار ويتبرك به ، وهو قبر فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما[50] .

ثانياً ـ مزارات أهل الذمة

1 ـ المزارات اليهودية

لا ريب أن العامل الديني هو تلك الرغبة الملحة التي كانت تدفع باليهود إلى ركوب الأهوال واقتحام المخاطر لحج بيت المقدس والتبرك بقبور الأنبياء ومقامات الصالحين . وحج بيت المقدس ، وإن لم يعد فرضاً دينياً على اليهودي منذ خراب هيكل القدس في القرن الأول للميلاد[51] . فاليهودي كان يشعر بسعادة غامرة لزيارة أماكن التوراة ومهبط الوحي ومثوى الأنبياء ، غير مكترث بحقيقة الأمان ، وهو كونه سيتمتع بحماية الحاكم أو الأمير ، لا سيما أيام الحروب الصليبية ، والملاحظ أن تيار الرحلات والأسفار اليهودية في العصر الوسيط ، كان يتجه دائماً من الغرب إلى الشرق . وقلما تعرف رحالة من يهود الشرق يمم شطر أوربا[52] .

وربما يرجع ذلك إلى أن يهود الشرق كانوا أكثر استقراراً وطمأنينة من إخوانهم في الغرب في ظل الحكم الإسلامي الذي أعطاهم حرية الإيمان في المعتقد ، فأمنوهم على أزواجهم وما ملكت أيمانهم بدافع الشرع والتسامح الديني . وأما السفر بقصد التجارة فلم يضطر اليهودي الشرقي إلى خوض

البحار وتجشم الأخطار ؛ ذلك لأن بلاد المشرق العربي كانت مصدراً رئيساً لأكثر البضائع والسلع في ذلك الوقت . أضف إلى ذلك أن بيت المقدس لم يكن بعيداً عن اليهودي الشرقي ؛ إذ لم تفصله عنه أهوال الطبيعة الجغرافية المحفوفة بالأخطار ، وهو إذا ما قام بالزيارة لم يكن يشعر باختلاف الزمان والمكان . فالبيئة العربية ومحيطها متشابهة إلى حد ما في كل الأحوال ، لذا قلما تجد من بين يهود الشرق من كتب عن رحلته أو دون مشاهدته ، كما هو الحال بالنسبة إلى يهود الغرب ، فالحاج والتاجر اليهودي الأوربي لا يسجل من الأمور سوى ما كان غريبا عنه وعن نفسه ومحيطه ، لذلك تعد رحلاتهم وأسفارهم رسائل ثمينة في المصادر التاريخية . ومن مشاهير الحجاج والتجار اليهود الذين وفدوا على فلسطين في هذه الفترة - الرحالة بنيامين التطيلي الذي يعد من وجهة نظر كاتب المقدمة من «الثقات العارفين بالتوراة والشرع ، وأن التدقيق والتمحيص قد أيدا ما رواه في رحلته»[53] . على أية حال ، لوحظ أن بنيامين لم يبدأ بالإسهاب والتفصيل ، إلا عندما وطئت أقدامه أرض الشرق العربي في فلسطين وبلاد الشام - وهو الغاية الرئيسة لرحلته- فصار يتنقل بين نواحي فلسطين ، ويدون ملاحظاته على ما زاره من قبور الأنبياء والمشاهد والمقامات الصالحين ، ناصباً في مخيلته أسماء المواقع وصورتها في التوراة والتلمود . يبقى أن نعرف نظرة الرحالة بنيامين تجاه المزارات المتعلقة باليهود في مدينتي القدس والخليل؟

وصل بنيامين إلى بيت المقدس في سنة 564هـ/ 1168م في أثناء الاحتلال الصليبي ، وبطبيعة الحال كانت هذه المزارات حينذاك بأيدي النصارى وتحت إدارة إشرافهم ، وأول ما قصد بنيامين من المزارات بيت المقدس الذي وصفه «بمعبد سليمان»[54] ، وقد ذكر أن فيه طبقة عسكرية صليبية تقدر بنحو ثلاثمائة فارس عرفوا بـ(فرسان المعبد) ، مهمتهم حماية حجاج النصارى الوافدين على بيت المقدس ، هذا فضلاً عن فرسان الاحتياط الذين يتوافدون من بلاد الإفرنجة وسائر ديار النصارى ، من الذين ينذرون الخدمة في هذا المقام نحو سنة أو سنتين .

وفي معرض حديثه عن حرم بيت المقدس (المسجد الأقصى - قبة الصخرة) ، ذكر أن قبالة هذا البناء يوجد الحائط الغربي[55] . يقول في وصفه : «وهو من حيطان قدس الأقداس في الهيكل القديم . ويسميه اليهود «باب الرحمة» [56] يحجونه لإقامة الصلاة في باحته»[57] .

وبعدها ينتقل بنيامين للمشاهد والمزارات الأخرى تباعاً ، فها هو ذا يشاهد أطلال الإصطبلات[58] : «التي عمرها الملك سليمان بجوار قصره ، وقد استعمل في بنائها الصخر الجسيم المنحوت ، مما لا نظير له في بناء آخر . وهناك أيضاً أطلال المذابح [59] التي كانت الأضاحي تقدم عليها في سالف الزمان . وقد جرت عادة حجاج اليهود وزوارهم في هذه الأماكن أن يكتبوا أسماءهم على الحيطان الملاصقة[60] . يمكننا بنيامين من مشاهدة أشهر المقابر اليهودية في واد يقال له «قدرون»[61] ، منه ما يشاهد النصب الذي أقامه أبشالوم[62] . ومرقد الملك عزية [63] ونبع السلوان [64] الذي يمر بوادي قدرون ، وأوضح أن فوق هذا النبع من آثار الأسلاف ، وليس فيه من الماء إلا يسير ، لذا يشرب غالب أهل القدس ماء المطر الذي يجمعونه في الصهاريج المعدة لهذا الغرض[65] . كذلك من أهم المواقع المقدسة التي ذكرها بنيامين (جبل صهيون) ، الذي يعد من الجبال التي كتب لها أن تكتسب أهمية كبرى في تاريخ القدس ، وتدلنا المزامير العبرانية على أن جبل صهيون الذي يقع شمالي تل الأكمة في القدس كان موقعاً مقدساً[66] . وبعض المزامير العبرانية استخدمت في العبادات الإسرائيلية على جبل صهيون . ويقع سر اهتمام بنيامين لهذا المكان الجغرافي المقدس ، أن عليه بيعة للنصارى ، وثلاثة مقابر قديمة لليهود ، فوق كل قبر حجارة محفور عليها تاريخه . لكنه في الوقت نفسه ، ينتقد الإفرنج لهدم هذه القبور ، حيث يستعملون حجارتها لبناء بيوتهم[67] .

وأيضاً - وعلى جبل صهيون - قبر الملك داود عليه السلام وسائر الملوك من آله[68] .

لكن هذه القبور كانت عافية الآثار ، ولا تكاد تعرف في عصره على

حسب قوله[69] . وهنا نستطيع أن نتصور أن بنيامين كان يعرف المقدسات اليهودية حتى ولو لم يكن يراها بعلمه المسبق بالخريطة العقدية للحرم المقدس ، وإلا كيف يتقصى هذه الأماكن المقدسة دون رواية أو دراية أو سؤال بخبر .

ولقد قصد بنيامين مدينة الخليل ، وذكر أن النصارى يسمونها st. Abram De Bron ومدينة HEBRON عرفت بهذا الاسم منذ القديم ، وهي الآن خراب على حد قوله .

أما المدينة الجديدة فمشيدة في بطن الوادي في حقل فيه المغارة التي فيها قبور الأنبياء عليهم السلام . وأوضح بنيامين أن الإفرنج حولوا الجامع الحرم الشريف في الخليل إلى مقر للأسقفية اللاتينية تدعى (كنيسة القديس إبراهيم) - كانت في أيام حكم المسلمين كنيساً لليهود ، حتى استولى الإفرنج عليها . وقد ذكر أن هذه الكنيسة «ستة قبور يقول النصاري : أنها أضرحة إبراهيم وسارة ويعقوب وليئة»[70] . وهنا تتطابق رؤية بنيامين مع الرحالة في خبر صحة هذه القبور الشريفة ، إلا أنه اعتمد في رؤيته هذه المرة على النصارى المقيمين في ذلك الموضع ، وليس على علمه من الأسفار . لوحظ في هذه الفترة تردد الكثير من اليهود لزيارة المشهد الخليلي بقصد الحج والتبرك ، وكان يتناوب على حراسته والعناية به حارس معين من قبل الإدارة الصليبية ، مهمته أخذ الضرائب من الزائرين ليمكنهم من زيارة هذا المقام . يقول بنيامين : «يحجها اليهود للتبرك لقاء إتاوة يؤدونها[71] ، فإذا جاء يهودي دفع المال إلى الحارس القيم على القبور ، فيفتح له باباً من حديد يرتقي عهده إلى أسلافنا طاب ذكرهم» . . . ويذكر بنيامين أن من عادة اليهود في هذا المقام أن يأتوا بعظام موتاهم ، فها هو يعاين العدد الكبير من القوارير المملوءة بعظام الموتى في هذا الموضع[72] . يتضح من نص بنيامين أن للدولة الصليبية سياسة ثابتة في إدارة المزارات والمشاهد المقدسة ، فقد فرضت على الجالية اليهودية ضريبة زيارة المقام ، وهذا إن دل ، فإنما يدل على تكاثر أعداد اليهود للزيارة إبان الحكم الصليبي بغية الحج ، وقد استفادت الدولة بسن هذا القانون ، لما له من مردود مادي على مداخيل الدولة ، خصوصاً

في هذه الظروف السياسية الصعبة وقتذاك . وينفرد بنيامين بذكر مزار آخر لم نلحظه عند الرحالة المغاربة في مدينة الخليل ، ألا وهو دار يقال إنها كانت لسيدنا إبراهيم عليه السلام تقع بظاهر الغار المذكور ، وقد أفاد أن الدولة لا تسمح لأحد أن يشيد حوله بناء ، إجلالاً لمقام هذا النبي الكريم[73] . وها هي إشارة أخرى من بنيامين تفيد ما أولت به الدولة الصليبية من رعاية واهتمام للمشاهد والمزارات ، فلا نستغرب وجود استقلالية في إدارة المزارات من قبل الدولة لتحقيق أهداف سياسية ودينية مرجوة ، وإذا كنا قد استندنا إلى إفادات بنيامين في تبيان مزارات ومشاهد اليهود بالقدس والخليل في القرن السادس الهجري ، فذلك لأنه معني بأحوال طائفة اليهود من جميع الجوانب ، أكان ينتظر من يهودي في تلك الفترة غير هذا؟

2 ـ المزارات المسيحية والكنائس المقدسة

تحتل فلسطين مركزاً رفيعاً في قلوب المسيحيين ، ينظرون إليها نظرة تقديس وإجلال ، شأنهم في ذلك شأن المسلمين واليهود . والتاريخ الكنسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك البقعة المقدسة ، فقد لوحظ في العصر الوسيط ، وخصوصاً في ظل الحكم الصليبي أن الحجاج الأوروبيين يتوافدون على بيت المقدس من كل حدب وصوب ، شغوفين بزيارة الأماكن المقدسة التي لها علاقة وثيقة بالسيد المسيح ورسله وحواريه ، وقد امتلأت الكتب والرحلات القديمة بأخبار أولئك الحجاج ، من حيث حركة تنقلاتهم وروايات أسفارهم وسجلات مشاهداتهم ، ويحفظ لنا التاريخ أسماء عدد من مشاهيرهم وعظمائهم [74] الذين لهم السبق في الاكتشافات الأثرية في القدس وأطرافها ، وهو ما سهل على الحجاج معرفة الجغرافيا المقدسة التي خبرها المسيحيون على مر العصور .

على أية حال ، لقد كان لنا في مدونات الرحالة المغاربة إسهام علمي رفيع في تحري المقدسات المسيحية وتقصيها ؛ إذ كانوا يدققون في مشاهدتهم للمقدسات ، وكأن لهم دراية مسبقة بالكتب السماوية ، وبـ «جغرافية المجال المسيحي» في هذه البقعة . لذا تعد إسهاماتهم في هذا الشأن معلماً تاريخياً في

المأثور الإسلامي والمسيحي .

ومن الرحالة الذين زاروا بين المقدس في ظل حكم الصليبيين القاضي الإمام عبدالله بن العربي وولده القاضي أبو بكر سنة 485هـ/ 1092م ، حيث ترك لنا ابن العربي وصفاً دقيقاً لمعلم مقدس عند النصارى ، وهو جبل طور زيتا[75] ، يقول في وصفه : «شاهدت المائدة بطور زيتا مراراً ، وأكلت عليها ليلاً ونهاراً ، وذكرت الله سبحانه فيها سراً وجهاراً ، وكانت صخرة صلداء لا تؤثر فيها المعارك ، وكان الناس يقولون : مسخت الصخرة . . والذي عندي أنها صخرة في الأصل وقطعت من الأرض محلاً للمائدة النازلة من السماء ، وكل ما حولها حجارة مثلها ، وكان ما حولها محفوفاً بقصور ، وقد نحتت في ذلك الحجر الصلب بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها . . وقد كنت أخلو فيها كثيراً للدرس . .

وكنا نفاوض الكرامية والمعتزلة والمشبهة واليهود ، وخاصمنا النصارى بها ، وكانت البلاد لهم يأكرون ضياعها ويلتزمون أديارها ويعمرون كنائسها . . .»[76] .

أما الشريف الإدريسي السبتي (548هـ/ 1154م) ، صاحب (نزهة المشتاق واختراق الآفاق) ، فقد وصف بيت المقدس بأوصاف أكثر دلالة وعمقاً ، وما يهمنا في وصفه ما أورده عن المقدسات المسيحية ، فقد حدثنا الإدريسي عن أعظم الكنائس وأقدمها عهداً وهي الكنيسة العظمى المعروفة بكنسية القيامة[77] ويسميها المسلمون قمامة : وهي الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الأرض ومغاربها . . وهي من عجائب الدنيا . . ولها باب من جهة الشمال ينزل منه إلى أسفل الكنيسة على ثلاثين درجة ، ويسمى هذا الباب باب (شنت مرية) ، وعند نزول الداخل إلى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة المعظمة وعليها قبة معقودة ، وقد أتقن بنيانها وحصن تشييدها وأبدع تنميقها . . وإذا خرجت من هذه الكنيسة العظمى وقصدت شرقاً ألفيت البيت المقدس الذي بناه سليمان بن داود عليه السلام ، وكان مسجداً محجوجاً إليه في أيام دولة اليهود ، ثم انتزع من أيديهم وأخرجوا عنه إلى مدة الإسلام ، فكان معظماً في ملك

المسملين ، وهو المسجد المسمى بالمسجد الأقصى عندهم . وعندما تناول الإدريسي أبواب القبة الأربعة ذكر أن الباب الغربي يقابله مذبح كان بنو إسرائيل يقربون عليه القرابين ، وبالقرب من الباب الشرقي الكنيسة المسماة بقدس القدس ، وهي لطيفة القدر ، والقبلي منها يقاله المسقف الذي كان مصلى للمسلمين ، فلما استفتح الروم بيت المقدس - وبقي المصلى بأيديهم إلى وقت تأليفنا لهذا الكتاب (548هـ/ 1154م) صيروا هذا المسقف من المسجد بيوتاً سكنها (الدواية) يعني خدام بيت الله . . وأضاف أن هناك باباً آخر مفتوحاً يعرف بباب الأسباط[78] ، إذا خرجت من باب الأسباط تجد كنيسة كبيرة حسنة جداً على اسم السيدة مريم ويعرف المكان بالجسمانية[79] . ثم ينتقل الإدريسي إلى ما يلي بيت المقدس من ناحية الجنوب حيث كنيسة صهيون[80] ، وفيها المائدة باقية إلى الآن . يقول الإدريسي . . . ومن باب صهيون تنزل في خندق يعرف بوادي جهنم ، وفي هذا الخندق عين السلوان ، وهي العين التي أبرأ فيها السيد المسيح الضرير الأعمى . .[81] . أما مشاهدات بنيامين للمقدسات المسيحية ببيت المقدس ، فكانت مختصرة بخلاف ذكره ووصفه للمزارات اليهودية ؛ إذ يكتفي بذكر أشهر المزارات المسيحية في صورة مقتضبة ، بالرغم من أنه معني بالتفصيل والإسهاب ؛ لأنه دخلها إبان الحكم الصليبي . يقول : «وبالقدس كنيسة كبرى تدعى (كنيسة الضريح الأقدس) منسوبة إلى مسيح النصارى ، يحجها عدد غفير منهم»[82] ، وأشار بنيامين أن لحجاج النصارى الوافدين على بيت المقدس حماية خاصة بأمر من الدولة الصليبية - فهي تخصص طبقة عسكرية من فرسان الصليبيين ، عرفت باسم (فرسان المعبد) - وهي شبيهة بمنظمة خاصة سن لها نظام خاص أدى إلى استقلالها في تدبير شؤون مهامها[83] . أما إذا رجعنا إلى إفادة الرحالة ابن جبير الذي زار المشرق في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ؛ أي في الفترة التي شاهدت احتكاكا المسلمين بالفرنج ، رأينا التسامح الديني بين المسلمين والنصارى ، وبالرغم من أن ابن جبير لم يزر بيت المقدس وقتها لكونه يوم ذاك بيد الصليبيين ، لم تخل رحلته من ذكر بعض التفصيلات المهمة التي تخص الأرض المقدسة وأطرافها . ففي ما يتعلق بالأمن وحرية الحركة

لقوافل التجار النصارى وحجاجهم ، يذكر أنه لما عزم على الرحلة إلى عكة ، التمس ركوب البحر مع تجار النصارى ، وأوضح أن مراكبهم لا تستعد إلا في فصل الخريف المعروف عندهم «بالصليبية»[84] . وفي موضع آخر يقول إن من أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين نصارى ، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم . . . واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع . واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكة كذلك . وتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض . . وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ، والناس في عافية[85] . هذا ، ولم ينقطع توارد الحجاج النصارى الأوربيين على فلسطين حتى في ظل استرداد بيت المقدس من قبل السلطان صلاح الدين ، ذلك أن سياسته أتاحت أفضل الوسائل والسبل للوفود والجاليات للقدوم إلى هذه البقعة ، كما كان لمبدئه في تطبيق سياسة التسامح الديني الأثر البالغ لأصحاب الكتب السماوية . وقد توالت حملات حجاج النصارى إلى بيت المقدس حتى في ظل الحكم الإسلامي ممثلة بالدولتين الأيوبية - المملوكية . فسياسة التسامح الديني للأديان السماوية لم تتغير ، بل أصبحت مع مرور الأيام قاعدة من القواعد السياسية المعتمدة في العلاقات السياسية الخارجية بين نصارى أوربة والمسلمين . والحق أن أفضل من أجاد في تقصي المقدسات المسيحية ومعاينة مزاراتها في هذه الفترات التاريخية - هم الرحالة المغاربة والأندلسيون كالعبدري ، وابن بطوطة ، والبلوي ، الذين اتصفوا بالدراية المسبقة للأماكن المقدسة قبل مشاهدتها ، والتمعن العميق في معاينتها ، والدقة والتفصيل في النقل عنها . ولوحظ أن العبدري ابتدأ بزيارة أشهر المقدسات المسيحية في القدس الشريف ، وهي الكنيسة المعظمة المعروفة بالقيامة ، لكنه لم يسمها ، وأوضح أن النصارى يحجونها في كل عام ، وهي التي يزعمون أن فيها قبر سيدنا عيسى عليه السلام . وأفاد العبدري أن على كل من يحجها منهم ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الإهانة يتحملها راغماً . . .[86] ، وعن المزارات الأخرى ذكر : «إن في شرقي القدس وادياً يعرف بوادي جهنم في بطنه كنيسة يعظمها

النصارى ، ويقال إن بها قبر مريم عليها السلام»[87] . . ومنها بنية أخرى يقال إنها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء[88] .

هذا ويخصص ابن بطوطة فصلاً للحديث عن بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف ، وقد تطابق حديثه مع الرحالة العبدري في كل ما يتعلق بالمقدسات المسيحية بالقدس ، غير أنه ذكر استمرارية الدولة المملوكية في عهد الناصر محمد بن قلاوون[89] في فرض الضرائب على الحجاج النصارى وإساءة تعاملهم كما هو الحال في عهد المنصور سيف بن قلاوون[90] . أما البلوي فيؤكد ماذكره سابقوه في وصف هذه الأماكن المقدسة[91] . فبعدما أورد البلوي وصفاً للمسجد الأعظم ابتدأ بوصف المزارات والمقدسات المسيحية التي تقع خارج بيت المقدس - موضع ميلاد عيسى عليه السلام[92] بمدينة بيت لحم BETHLEHEM[93] . أما ابن بطوطة فقد سنحت له الزيارة ، وعاين موضع ميلاد عيسى عليه السلام ، وأضاف أن به أثر جذع النخلة[94] ، وعليه عمارة كثيرة (الكنيسة) ، وأن النصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به[95] .

الخاتمة

من كل ما تقدم يمكن استخلاص ما يلي :

1 ـ من خلال إفادات الرحالة المغاربة يتبين لنا خريطة الأماكن الدينية لمدينتي القدس والخليل في تلك الفترة ، هذا إلى جانب أن الرحالة تحدثوا عن الحضور المسيحي إلى جانب الحضور الإسلامي ، إلا أنه لم يرد عند الرحالة المغاربة ذكر لليهود في بيت المقدس إلا من خلال ذكرهم للمزارات الدينية .

2 ـ إهمال المؤرخين والباحثين الغربيين للدور البارز الذي قامت به الدولة الإسلامية في العناية بالمقدسات الإسلامية والدينية في تاريخ العصر الوسيط . فهذا العرض يبين بوضوح إسهامها الفعال في الاهتمام بالقدس والخليل ليس في الأيام الأولى لظهور الإسلام فحسب ، بل كذلك عندما استولى عليها الصليبيون عام 492هـ/ 1049م .

3 ـ تشكل نظرة الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى هاتين المعلمتين ، مصدراً واقعياً ؛ حيث عدوهما من أهم مدن العرب والإسلام في العصر الوسيط ، وبخاصة في الفترة التي تلت تحريرهما من أيدي الصليبيين .

4 ـ وأخيراً فإن الرحلات تكشف عن جانب التطور التاريخي التي عاشته مدينة القدس والخليل ، أي أننا نستفيد من التطور الذي عرفته المدينتان ، ابتداءً من العصر المرابطي الذي يمثله القاضي أبو بكر بن العربي ، مرورا بالعصر الأيوبي ، ثم عصري المماليك والمرينيين انطلاقاً من إشارات الفقيه خالد بن عيسى البلوي .

الهوامش والمراجع

(1) انظر : التازي ، عبدالهادي .
- **القدس والخليل في الرحلات المغربية** : رحلة **ابن عثمان نموذجاً** ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم ايسيسكو ، 1418هـ/ 1997م .
- حي المغاربة بالقدس ، **مجلة مركز الدراسات الفلسطينية** ، العدد 3 ، 1972م .
- مكانة القدس لدى المغاربة ، بحث قدم **للندوة الأولى للآثار الفلسطينية** ، جامعة حلب ، 1981م . أحمد ، علي ، القدس في نظر المغاربة والأندلسيين خلال العصور الوسطى ، **مجلة التاريخ العربي** ، العدد 9 ، 1999م .

(2) هو رحالة أندلسي كبير ، كان قاضي أشبيلية ، رحل إلى المشرق سنة 491هـ ، أي أيام الفاطميين - فقد كتب الرحلة حقاً ، ووصف مراحلها كوصف طور (زيتا) ببيت المقدس الذي نقله عنه صاحب «نفح الطيب» ، المقري : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، ج2 ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : 1968م ، ص37-38 ، كراتشكوفسكي : **تاريخ الأدب الجغرافي** ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، القاهرة : 1963م ، ص298 .

(3) جغرافي مشهور ، طاف في البلدان في سن مبكرة ، شاهد الكثير من الأقاليم وأحوالها ، ثم استدعاه روجار الثاني ملك صقلية إلى بلرمة وصنع له صورة الأرض ، وألف كتابه الشهير «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» الذي يسمى أيضاً كتاب رجار ، ذكر فيه ما رآه في رحلاته وما جمعه الرواد الذين بعث بهم الملك الصقلي إلى الأقطار ، **تاريخ الأدب الجغرافي** ، من ص280 . محمد المنوني ، الشريف الإدريسي «**مجلة دعوة الحق**» ، السنة التاسعة ، العدد الثامن ، ص75-86 .

(4) لم يتوصل الباحثون إلى ما يلقي الضوء على سيرة هذا الرحالة ومولده ونشأته ومركزه العلمي والأدبي ، وكل ما يعرف عنه مأخوذ عن المقدمة الوجيزة التي صدر بها الرحلة كاتب مجهول الهوية وربما كان معاصراً لبنيامين : التطيلي ، بنيامين ، رحلة **ابن يونه إلى بلاد الشرق الإسلامي** ، ترجمها وعلق على حواشيها عزرا حداد ، ط1 ، بيروت : دار ابن زيدون ، 1996م ، ص7 . أحمد الشحلان ، رحلة بنيامين التطيلي ، «ندوة الرحلة بين الشرق والغرب» ، **منشورات جامعة محمد الخامس** ، الرباط ، 2003م .

(5) بلنسي شاطبي ، عني بالأدب وبالحديث ، وتقدم في صناعة النثر والنظم ، رحل إلى المشرق ثلاث مرات ، وزار في الأولى (سنة 585هـ) مصر والشام والعراق والحجاز ، وكتب رحلته هذه ، وتعد من أمتع الرحلات الجغرافية العربية وأغناها بالملاحظات الاجتماعية والعلمية .
نشر الرحلة رايت في ليدن عام 1852م ، وأعاد نشرها دغويه سنة 1907م ، ثم نشرت في بيروت . انظر في ترجمته ، ابن الخطيب ، لسان الدين : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق : محمد عنان ، م11 ، ط . القاهرة : 1974م ، ص233-234 ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ص331 .

(6) أصله من بلنسيه ونسبته إلى بني عبدالله ، كان من سكان الحامة ، ونلاحظ أنه نسب سكناه إلى الحامة لا إلى الحيحة ، وقد ساق خير الدين الزركلي ترجمتين متتابعتين في كتاب **الأعلام** ، يقدر الوفاة في الترجمة الأولى بعد 688هـ ، ويحدد الوفاة في الثانية بنحو 700هـ . الحسن الشاهدي : **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني** ، الرباط : مطابع عكاظ ، ج1 ، ص173-209 .

(7) هو رحالة كبير ، طاف في كثير من أقطار الأرض ، وهو من البربر ولد سنة 779هـ . قام بعدة رحلات إلى البلدان الأفريقية والآسيوية بالإضافة إلى البلدان العربية وبلغ تطوافه الهند والصين . حج مكة المكرمة ، وزارة المدينة المنورة ، والمشاهد المقدسة كالقدس والخليل ، وسجلت رحلاته هذه ، وأهمها الرحلة الأولى التي بدأها من مسقط رأسه طنجة والتي قام بها سنة 725هـ . انظر تاريخ الأدب الجغرافي ، ص21 .

(8) هو أبو البقاء ، قاضي مدينة (قنتوريه) . طاف بنواحي المغرب والمشرق ، وكتب رحلته بأسلوب تكلف فيه الإغراب ، ووصف فيه أفريقية والقدس ومكة ، وأخذ شيئاً من ابن جبير . بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ، ج2 ، ترجمة : جماعة من الباحثين ، القاهرة : الهيئة المصرية ، 1993م/ 1995م ، ص267 . زيدان ، جرجي : **تاريخ آداب العربية** ، ج3 ، ط4 ، بيروت : 1978م ، ص229-230 .

(9) لمراجعة ذكر فضائل المسجد الأقصى انظر إلى : ابن مجير الدين الحنبلي ، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، ج1 ، عمان : مكتبة المحتسب ، 1973م ، ص230-231 .

(10) القدس والخليل عند الرحالة المغاربة ، رحلة ابن عثمان نموذجاً ، ص11 .

(11) هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن أبي القاسم عبدالله المقتدي بالله ، أمه أم ولد تدعى (ألطون) . بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة 489هـ وعمره سبعة عشر عاماً . كانت خلافته خمساً وعشرين سنة ، لم تصف الخلافة له ، بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب ، وتولى الخلافة من بعده ابنه المسترشد بالله ، ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، تحقيق : عبدالوهاب النجار ، القاهرة : 1969م ، 10 ، ص534 .

(12) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني ، أبو يعقوب ، أمير المسلمين وملك الملثمين ، سلطان المغرب الأقصى ، وأول من دعي بأمير المسلمين ، دخل الأندلس لنصرة المعتمد بن عباد صاحب أشبيليه ، وانتصر في موقعة الزلاقة على جيوش قشتالة وليون التي كان يقودها ألفونس السادس سنة 479هـ ، وخلف من بعده ابنه علي في الأندلس وولاه حاكماً عليها ، أدركه الأجل في محرم سنة 500هـ . ابن الأثير ، الكامل ، 9 ، ص216 . ابن خلدون ، المقدمة ، م6 ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، 1956م ، ص386 .

(13) هو أبو بكر بن الوليد الفهري الأندلسي المالكي نزيل الإسكندرية وأحد الأئمة الكبار توفي عام 520هـ . انظر الذهبي ، محمد بن أحمد عباس ، **العبر في خبر من غبر** ، ج4 ، تحقيق : صلاح الدين ، الكويت : 1963 ، ص48 .

(14) نقل المقري في نفح الطيب – نقاشاً علمياً بين القاضي ابن العربي والإمام أبي بكر الطرطوشي في حديث أبي ثعلبة مرفوع : أن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا : «بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعواناً» المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص37-38 .

(15) العبدري ، **الرحلة المغربية** ، تحقيق : محمد الفاسي ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1968م ، ص228 .

(16) هو عبدالله بن عبدالعزيز القرطبي ، أكبر جغرافي عرفته الأندلس ، له تآليف كثيرة في الأدب والجغرافية ، **أشهرها اللآلئ في شرح الأمالي** . وكتاب «المسالك والممالك» ، وكتاب «**معجم ما استعجم**» رتبه على حروف الهجاء حسب ترتيب المغاربة ، وقد نشره مصطفى السقا عام 1945م بلجنة التأليف والترجمة والنشر . تاريخ الأدب الجغرافي ، ص274 .

(17) تاريخ الأدب الجغرافي ، ص229-230 .

(18) يذكر كيب Gibb أن الشباكين نصبا أيام الاحتلال الصليبي للقدس في القرن السادس الهجري ، انظر : ابن بطوطة ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، ج1 ، تحقيق : عبدالهادي التازي ، الرباط ، الأكاديمية المغربية ، 1997م ، ص247 ، هامش 21 .

(19) الرحلة المغربية ، ص230 .

(20) رحلة ابن بطوطة ، ج1 ، ص244-246 .

(21) البلوي ، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** ، ج1 ، تحقيق : الحسن السائح ، المغرب : مطبعة فضالة ، ب .ت ، ص246 .

(22) هو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ، أبو المظفر ، الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي من أشهر ملوك الإسلام ، حقق أعظم الانتصارات على الصليبيين في فلسطين والساحل الشمالي يوم حطين سنة 583هـ الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت ثم فتح القدس سنة 583هـ ، وقد عقد صلحاً مع ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد على أن يحتفظ الصليبيون بالساحل من عكا إلى يافا ، وأن يسمح لحجاجهم بزيارة بيت المقدس ، وأن يكون الساحل منها إلى الجنوب لصلاح الدين ، أدركه الأجل في دمشق وبويع لولده الأفضل نورالدين من بعده ، وكان نائبه على دمشق . ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، 12 ، ص97-98 .

(23) تاج المفرق ، ج1 ، ص247-248 .

(24) هو قلاوون بن عبدالله ، مملوك تركي كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، أعتقه سنة 647هـ وكان الملك الصالح اشتراه بألف دينار ، فعرف بالألفي ، تولى أتابكية الملك العادل بدرالدين سلامش ابن الملك الاهر بيبرس سنة 678هـ ، ثم خلع سلامش وتسلطن ولقب نفسه الملك المنصور سيف الدين وكانت مدة حكمة أحد عشر عاماً وستة أشهر . أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبع مئة مملوك من الأمراء الجراكسة ، وجعلهم بالقلعة وسماهم (البرجية) . تسلطن بعده ابنه الملك الأشرف صلاح الدين . ابن خلكان : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، 1972م ، 4 ، ص158 .

(25) تاج المفرق ، ج1 ، 250-252 .

(26) يذكر الجغرافي ياقوت الحموي أن قبة الصخرة التي تزار على طرفها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مادة (المقدس) .

(27) تاج المفرق ، ج1 ، 252 .

(28) ولد ناصر خسرو في قياديان ببلاد فارس من أسرة متوسطة ، وشغل مناصب حكومية مهمة في الدولتين الغزنوية والسلجوقية ، فكان واسع الاطلاع قرأ كثيراً في الديانات ، وقد أقام بمصر ثلاث سنوات من سنة 1047حتى سنة 1050م ، وحج في أثناء هذه الفترة ثلاث مرات . ، كتب ناصر خسرو وسجل حوادث رحلاته يوماً بيوم في كتابه (سفر نامة) . انظر إلى **الموسوعة العربية العالمية** ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط . الأولى ، 1995م ، ج25 ، ص34 .

(29) ناصر خسرو : **سفرنامة** ، ترجمة : يحيى خشاب ، دار الكتاب الجديد ، ط30 ، 1983م ، ص69-70 .

(30) هو علي بن أبي بكر الموصلي ، سائح مشهور «لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآها» زار الشرق الإسلامي ، والهند والقسطنطينية ، والمغرب وصقلية ونزل بحلب وتوفي بها . ألف كتابه «الإشارات إلى معرفة الزيارات» ذكر فيه أماكن الزيارة التي يزورها الناس في القرن السابع الهجري في العالم الإسلامي . كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، 1 ، ص295 .

(31) الهروي : **الإشارات إلى معرفة الزيارات** ، تحقيق : جانين سوردين ، طومين ، دمشق : 1953م ، ص32-34 .

(32) هو شهاب الدين بن يحي ، ولد بدمشق ومات فيها سنة 749هـ/ 1349م . شهد ببراعته الكثيرون وعلى رأسهم الصلاح الصفدي . أوتي ثقافة واسعة في التاريخ ومعرفة الممالك والمسالك والأقاليم ، ألف كتابه «مسالك الأبصار» وهو من نوادر التراث العربي . تاريخ الأدب الجغرافي ، 1 ، ص410 .

(33) العمري ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تحقيق : دوريتا كرافولسكي ، ط10 ، بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ، 1986م ، ص123-124 .

(34) مدينة الخليل : هي ببلدة جبرون القديمة Hebron وهي تجاه بيت المقدس مما يلي القبلة ، وهي مستديرة حول المسجد من الجهات الأربع ، وبناؤها محدث بعد بناء السور سليمان وهو المسجد . انظر : العمري ، مسالك الأبصار ، ص211 . ابن مجير الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج2 ، ص76-77 .

(35) سورة النساء ، آية 125 .

(36) الإدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، ج4 ، نابولي : مطبوعات المعهد الشرقي ، 1982م ، ص356-363 .

(37) يقول الهروي صاحب كتاب «الإشارات إلى معرفة الزيارات» : «دخلت القدس في سنة 567هـ واجتمعت فيه وفي مدينة الخليل بمشايخ حدثوني أن في سنة 513هـ في أيام الملك (Baudoin) . انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ، وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل . فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع وذلك سنة ثلاث عشر وخمسمائة . .» الإشارات معرفة الزيارات . ص30-31-32 . بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص106 .

(38) الرحلة ، ص221-225 .

(39) لم نقف على ترجمة لمؤلف هذا الكتاب علي بن جعفر الرازي ولا على هذا الكتاب . ويبقى بعد هذا أن نذكر أن زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم لمدينة الخليل وزيارة بيت لحم ، وهو في طريقه إلى بيت المقدس ، مما لم تنص عليه الآثار النبوية ، ولم يروها أبو هريرة رضي الله عنه . المصدر نفسه ، ص223 . رحلة ابن بطوطة ، ج1 ، ص242 ، هامش 6 .

(40) الرحلة ، ص224-225 .

(41) رحلة ابن بطوطة ، ج1 ، ص242 ، هامش 6 .

(42) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس الجعبري الربعي ولد بقلعة (جعبر) ، تعلم ببغداد ودمشق ، واستقر بمدينة الخليل ، وعرف بشيخه الخليل . له تآليف كثيرة تقارب المئة فيها : نزهة البررة في القراءات العشرة ، وشرح الشاطبية وشرح الرائية ، أدركه أجله في رمضان 732هـ/ 1332م ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، القاهرة : 1966م ، ج1 ، ص51-52 .

(43) رحلة ابن بطوطة ، ج1 ، ص241 .

(44) الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص24 .

(45) تاج المفرق ، ج1 ، ص241 .

(46) الأنس الجليل ، ج1 ، ص66-70 .

(47) تاج المفرق ، ج1 ، ص241 .

(48) يقول الهروي إن قبر لوط عليه السلام في قرية تحمل اسم (كفر بربك) ، وإن لوطاً كان يقيم في قرية حملت اسم يقين . . وأيد ابن مجير الحنبلي حديث الهروي في خبر صحة القبر . الهروي ، الإشارات ، ص22 . ابن مجير الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج1 ، ص72 .

(49) يذكر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي – أنه بإمكان المشاهد رؤية أهل سادوم (قوم لوط) من جبل الزيتون الواقع في بيت المقدس . الرحلة ، . ص102 .

(50) هو مسجد بناه أبو بكر محمد بن إسماعيل الصياحي ، فيه مرقد إبراهيم عليه السلام قد غاص في الصخر نحواً من ذراع . ويقال إن إبراهيم لما رأى قرى لوط وهي طائرة في الهواء وقف . وقيل – رقد ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن هذا هو الحق اليقين . لذلك سمى ذلك المسجد مسجد اليقين . وكان بناء ذلك المسجد في شهر شعبان سنة 352هـ/ 963م . الأنس الجليل ، ج1 ، ص72 .

(51) راوية من رواة الحديث . روت عن جدتها فاطمة مرسلاً ، وعن أبيها وعمتها زينب وبلال بن رباح وغيرهم – توفيت سنة 110هـ/ 628م . عمر رضا كحالة ، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام** ، ج4 ، ط10 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1991م ، ص44-47 . الرحلة ، ص226-227 .

(52) الرحلة ، ص15 .

(53) انظر أسماء الرحالة اليهود الغربيين الذين زاروا المشرق العربي . مقدمة رحلة بنيامين التطيلي ، ص16-18 .

(54) المصدر نفسه ، ص23 .

(55) يقول ناصر خسرو : «وقد استخدمت في بنائه (بيت المقدس) حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها ، وقال إن سليمان بن داود عليه السلام هو الذي بناه» . يقول الإدريسي : «وقصدت شرقاً ، ألفيت البيت المقدس الذي بناه سليمان بن داود عليه السلام ، وكان مسجداً محجوجاً إليه في أيام دولة اليهودية ، ثم انتزع من أيديهم وأخرجوا عنه إلى مدة الإسلام . . .» . أما مجير الدين الحنبلي فيخصص فَصلاً عن بناء سليمان عليه السلام مدينة بيت المقدس ومسجدها انظر إلى ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص69 وما بعدها . الإدريسي ، . نزهة المشتاق ، ص359-362 . الأنس الجليل ، ص117-125 .

(56) هو حائط البراق وهو من الأماكن الإسلامية المقدسة ، يقع في الجهة الغربية من المسجد الأقصى . انظر : محمد هاشم موسى ، **القدس الشامخة عبر التاريخ** ، الكويت : مطابع الخط ، 1989م ، ص136 .

(57) يقول صاحب الأنس الجليل : «وأما أبواب المسجد فأولهم : بابان متحدان في السور الشرقي الذي يقال فيه (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) ، وهما من داخل الحائط مما يلي المسجد ، أحدهما يسمى باب الرحمة ، والثاني يسمى باب التوبة . وهما الآن غير مشروعين ، وعليهما من داخل المسجد مكان معقود بالبناء السليماني ، ولم يبق في المسجد من البناء السليماني سوى هذه المكان ، وهو مقصود للزيارة وعليه الأبهة والوقار» . الأنس الجليل ، ج2 ، ص26-27 .

(58) الرحلة ، ص101 .

(59) يقول صاحب (الأنس الجليل) في (إصطبل سليمان) : «وإلى جانب هذا المكان (الأقصى قديماً) أيضاً سفل المسجد تحت الجهة التي بها الأشجار والزيتون مكان عظيم معقود يقال له : إصطبل سليمان ، وهو داخل تحت غالب المسجد ، ولعله من البناء السليماني وهو الظاهر ، إلى كل من المكانين المذكورين من تحت السور المسجد القبلي» . الأنس الجليل ، ج2 ، ص26 .

(60) يقول الإدريسي ، في نزهة المشتاق : «والباب الغربي منه يقابله مذبح كان بنو إسرائيل يقربون عليه القرابين . .» نزهة المشتاق ، ج4 ، ص359-360 .

(61) يقول معلق الرحلة : ما زالت هذه العادة متبعة عند اليهود والمسلمين في أماكن الزيارات . بنيامين التطيلي ، الرحلة ص101 ، هامش 4 .

(62) هو جزء من الوادي الممتد شرقي القدس بين وادي يو شفاط ووادي جهنم . بنيامين ، الرحلة ، ص102 ، هامش 3 .

(63) هو عمود تذكاري ، وهو بناء كبير مربع يعلوه قبة هرمية الشكل ، تقع أعلى أربعة أعمدة ارتفاعها سبعة أمتار ، وهي تقع في قرية عين سلوان ، ويسميه العامة (طنطور فرعون) ، ويقال إن أبشالوم بن الملك داود أقام لنفسه هذا النصب تخليداً لذكره ؛ لأنه كان بلا ولد ، وأغلب المحققين يعتقدون أن هذا النصب أحدث عهداً من أيام داود ، فالطرز اليونانية والرومانية ظاهرة في بنائه . راجع محمد هاشم ، القدس الشامخة ، ص179 . كارين ، **القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث** ، ترجمة نصر - فاطمة وعناني ، ط10 ، 1998م ، ص49-239 ، الرحلة ، ص101 ، تعليق 5 .

(64) هو الملك يهوذا وقد بويع ملكاً على الخليل في المكان الذي بويع إيشالوم ابن داود ملكاً على القدس .

(65) ونبع سلوان تعرف باسم بئر أيوب - عند التقاء وادي قدرون بوادي جهنم ، ولا شك أن عين سلوان أو (عين روجل) كانت بقعة مقدسة في أورشليم القديمة ، ويبدو أنها ارتبطت بتتويج ملوك المدينة . يقول صاحب مسالك الأبصار : «وهي تخرج من مكان في الجبل الذي عليه بناء القدس ، وتجرى إلى داخل ذلك الجبل أزيد من غلوة نشاب ، ثم تخرج من صدع في الجبل إلى مساحة لطيفة . لا يرى إلا جدولاً جارياً والنبع من داخل الصدع ، ماؤها قليل وليس بالكثير . مسالك الأبصار ، ص209 ، القدس ، ص67 .

(66) الرحلة ، ص102 .

(67) القدس ، ص32-50 .

(68) الرحلة ، ص102 .

(69) قال صاحب «الأنس الجليل» نقلاً عن وهب : دفن داود بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية شرقي بيت المقدس في الوادي ، ويقال إن قبر داود بكنيسة صهيون ، وهي التي بظاهر القدس من جهة القبلة بأيدي طائفة الإفرنجية لأنها كانت داره . الأنس الجليل ، ج1 ، ص116-117 .

(70) الرحلة ، ص103 .

(71) الرحلة ، ص105 .

(72) تعليق عزرا حداد : يذكر فتاحية (رحالة يهودي) أنه دفع ديناراً ذهباً لتمكينه من زيارة هذا المقام ، وأنه دفع ديناراً آخر ليتمكن من زيارة الكهف . الرحلة ، ص105 .

(73) الرحلة ، ص105-106 .

(74) الرحلة ، ص106 .

(75) من أشهر حجاج النصارى : هيلانة – أم قسطنطين الكبير . التي زارت فلسطين في أخريات أيامها فوجدت الضريح المقدس ، والصليب الذي قيل إن المسيح صلب عليه . ومنهم الإمبراطورة أودوسيه التي وسعت أسوار القدس سنة (460م) ، والراهب المعروف حاج بوردو (333م) والقديس جيروم (420م) ، ويثودوسيوس (520-530م) . انظر : مقدمة رحلة بنيامين التطيلي ، ص20-21 . Tight the Earlym Travellers in Palestine, London, 1949 . مدينة القدس عقائد ثلاث ، ص333 .

(76) هو جبل يقع في شرقي القدس يفصل بينهما الوادي . سماها جغرافيو العرب طورزيتا . أما الرومان فيعرفونه بـ Scopes ـ وعلى هذا الجبل عقد كتاب الصلح بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأهل بيت المقدس . الرحلة ، ص 102 . الأنس الجليل ، ج1 ، 255 .

(77) المغربي نفح الطيب ، ج2 ، ص 37- 38 . **مجلة الأبحاث** ، الجامعة الأمريكية ، بيروت : عدد كانون الأول 1968 . ابن العربي ، **العواصم من القواصم** ، تحقيق : محيي الدين الخطيب ، مصر ـ المطبعة السلفية ، 1375هـ ، ص 14-15 .

(78) كنيسة القيامة : بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين عام 335م في الموقع الذي اكتشف فيه الصليب الذي صلب عليه النبي عيسى عليه السلام كما يقول النصارى . ويقال إن الموقع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة كان هو الموقع الذي يقوم عليه منزل يوكيم وحنة والدي مريم البتول . ويقول الهروي : وأما زيارات الملة المسيحية فأعظمها (كنيسة القيامة) ـ وعمارتها من العجائب المذكورة ، ولهم فيها المقبرة التي يسمونها القيامة ، وذلك أنهم يعتقدون أن المسيح قامت قيامته ـ والصحيح أن الموضع كان اسمه (قمامة) لأنه كان مزبلة ـ للبلد . وذكر ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس قبل الهروى بقرن وربع القرن أن الكنيسة اسمها (بيعة القمامة) على حسب قول النصارى . ويحج إليها كل سنة كثير من بلاد الروم ، انظر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة يحيي الخشاب . نقولا زيادة ، **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى** ، بيروت : دار لبنان للطباعة ، 1986م ، ص 27-28 . القدس الشامخة ، ص 159 - 110 .

(79) باب الأسباط : هو من أقرب الأبواب إلى بيت المقدس وهو باب كبير ، سمي بباب الأسباط نسبة إلى أسباط بني اسرائيل ، وهذا يدل على قدمه .

(80) كنيسة الجسمانية : هي كنيسة واقعة على سفح جبل الزيتون من الغرب خارج باب الأسباط في وادي قدرون بنتها الملكة هيلانة . وعن كعب الأحبار قال : لا تأتوا كنيسة مريم التي ببيت المقدس ـ أي كنيسة الجسمانية ـ والعمودين اللذين في كنيسة الطور إنهما طواغيت ، ومن أتاهما حبط عمله . انظر إلى : القدس الشامخة ، ص 210 .

(81) يقول الهروي : وكنيسة صهيون يقال إن المائدة نزلت على عيسى بن مريم والحواريين بها . . أما بنيامين فيذكر أن على جبل صهيون بيعه للنصارى (الكنيسة) . الرحلة ، ص 102 .

(82) نزهة المشتاق ، ص 249 .

(83) الرحلة ، ص 10 .

(84) الرحلة ، ص100 ، هامش 1 .

(85) يقول ابن جبير : كانت الريح الشرقية لا تهب الا في فصل الربيع والخريف ، والسفر لا يكون إلا فيهما ، والتجار والحجاج لا ينزلون إلى عكة بالبضائع إلا في هذين الفصلين» . ابن الرحلة ، ص 243 .

(86) الرحلة ، ص233 .

(87) الرحلة ، ص 228 .

(88) يقول الهروي : إن قبر مريم أم عيسى في وادي جهنم ينزل إليه في ست وثلاثين درجة . الهروي ، الاشارات ، ص 28 .

(89) الرحلة ، ص 228 .

(90) تولي السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش مصر ثلاث مرات ؛ كانت أولاها سنة 693 هـ/ 1293م بعد مصرع أخيه الأشرف خليل ، وكا ما يزال طفلا في الثامنة من عمره ، ولم يستمر فيها سوى سنة واحدة ، والثانية سنة 698 هـ/ 1299م ، ولكنها كانت مجرد سلطنة صورية لم تستمر سوى بضع سنوات ، حتى اعتزل هو الحكم سنة 708هـ/ 1309م ، ثم كانت سلطنته الثالثة ، الحقيقة سنة 709هـ/ 1310م ، بعد أن جاوز عمره الستين ، وكانت تلك الفترة من أهم فترات العصر المملوكي لما تميزت به من ازدهار واعادة ترتيب للنظام الإداري والمالي في الدولة ، حياة ناصر الحجي ، **السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده** ، الكويت : مكتبة الفلاح ، 1984 ، ص 19-30 .

(91) رحلة ابن بطوطة ، ج 1 ، ص 249 .

(92) تاج المفرق ، ج1 ، ص 254 .

(93) وفوق المغارة التي يظن أن المسيح ولد فيها شيدت الإمبراطورة هيلانة ، أم قسنطين كنيسة كبري عام 330م تعد اليوم من أقدس الكنائس المسيحية ، يتناوب على حراستها والعناية بها رهبان من الروم واللاتين والأرمن ، وعرفت فيما بعد بكنيسة ميلاد المسيح ، التي أعاد بناءها عام 564هـ/ 1169م ما ينيل كومنين إمبراطور بيزنطة .

(94) تقع قرب البيت المقدس ، فيه مكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام . قال المقدسي نقلا عن البشاري : بيت لحم قرية على نحو فرسخ من جهة جبرين ، بها ولد عيسى عليه السلام ، وفيها كنيسة ليس في الكورة مثلها ، ويقال إن فيها داود وسليمان عليهما السلام . ياقوت الحموي ، المعجم ، مادة (بيت) .

(95) يقول الله تعالى : «فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسياً» . .(سورة مريم ، آية 23) . ذكر ابن حوقل في كتابه (صورة الارض) أن النخلة إلى الآن معظمة ، وقد اختفت النخلة اليوم . انظر إلى الرحلة ابن بطوطة ، ج 1 ، ص 244 ، هامش 14 .

(96) رحلة ابن بطوطه ، ج 1 ، ص 244 .

(97) راجع ـ عبدالهادي التازي ، **«طريق الايمان ، بحوث الندوة العالمية»** القدس ، ايسيسكو 1415هـ/ 1995م ، الميثاق الوطني (الرباط) ، 23 نوفمبر 1995م .

* * *

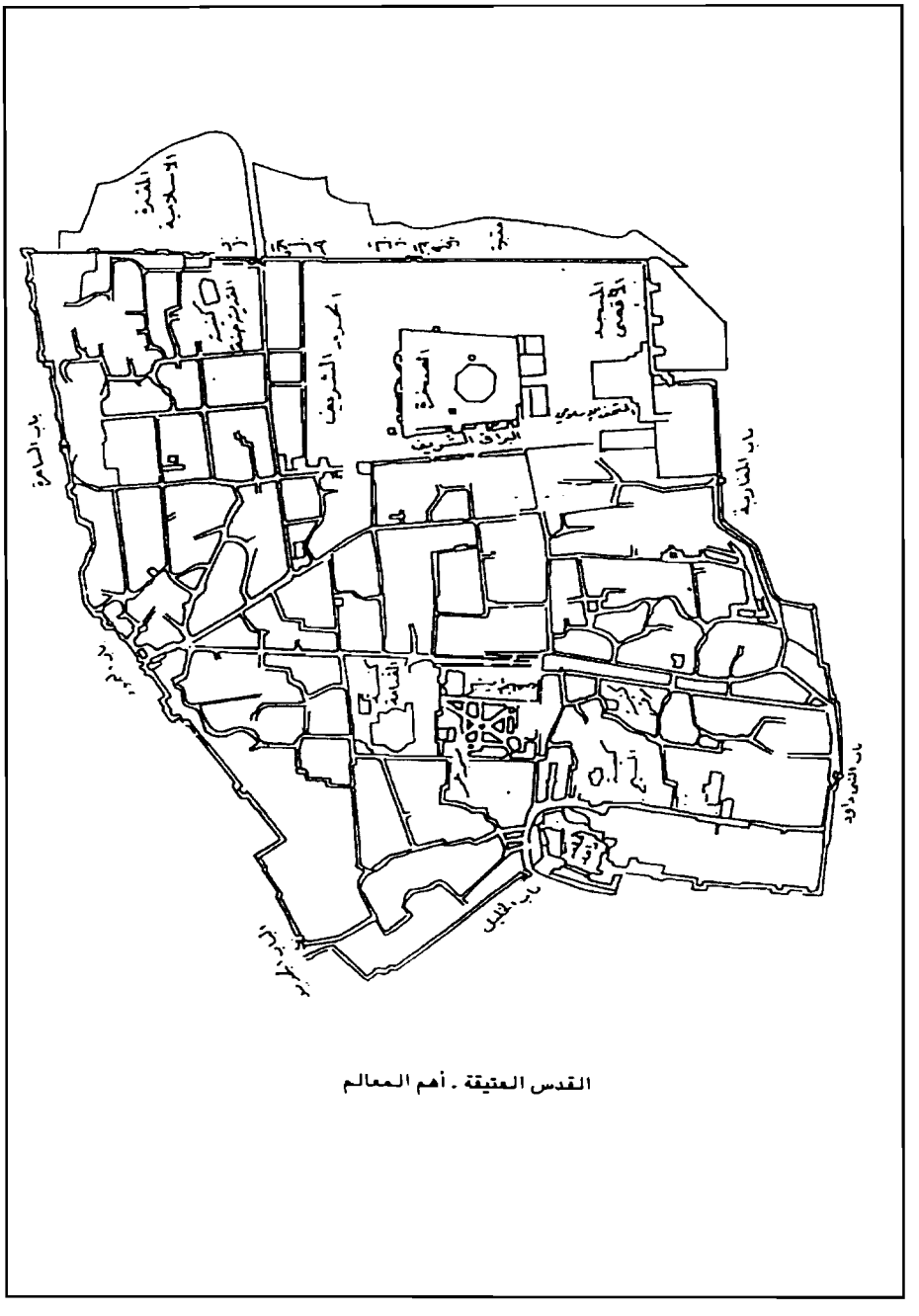

القدس العتيقة ـ أهم المعالم

شكل رقم 1 : نقلا عن «حول القدس وتراثها الثقافي» (في إطار الحوار الإسلامي ـ المسيحي) ، الرباط ، منشورات المنظمة الإسلامية ، ايسيسكو ، 1995 ، ص 387 .

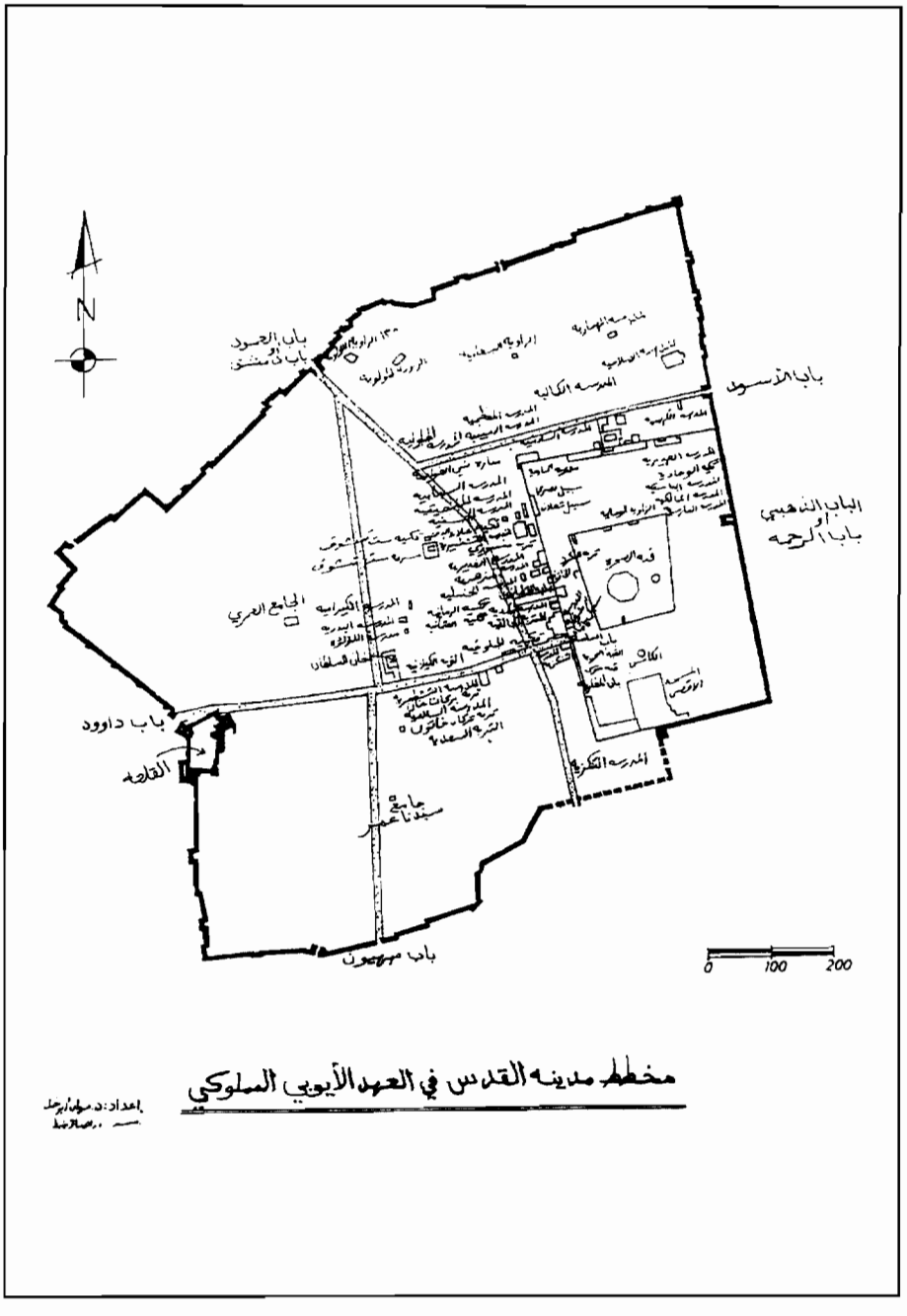

شكل رقم 2 : نقلا عن «حول القدس وتراثها الثقافي» (في إطار الحوار الإسلامي ـ المسيحي) ، الرباط ، منشورات المنظمة الإسلامية ، 1995 ، ص 651 .

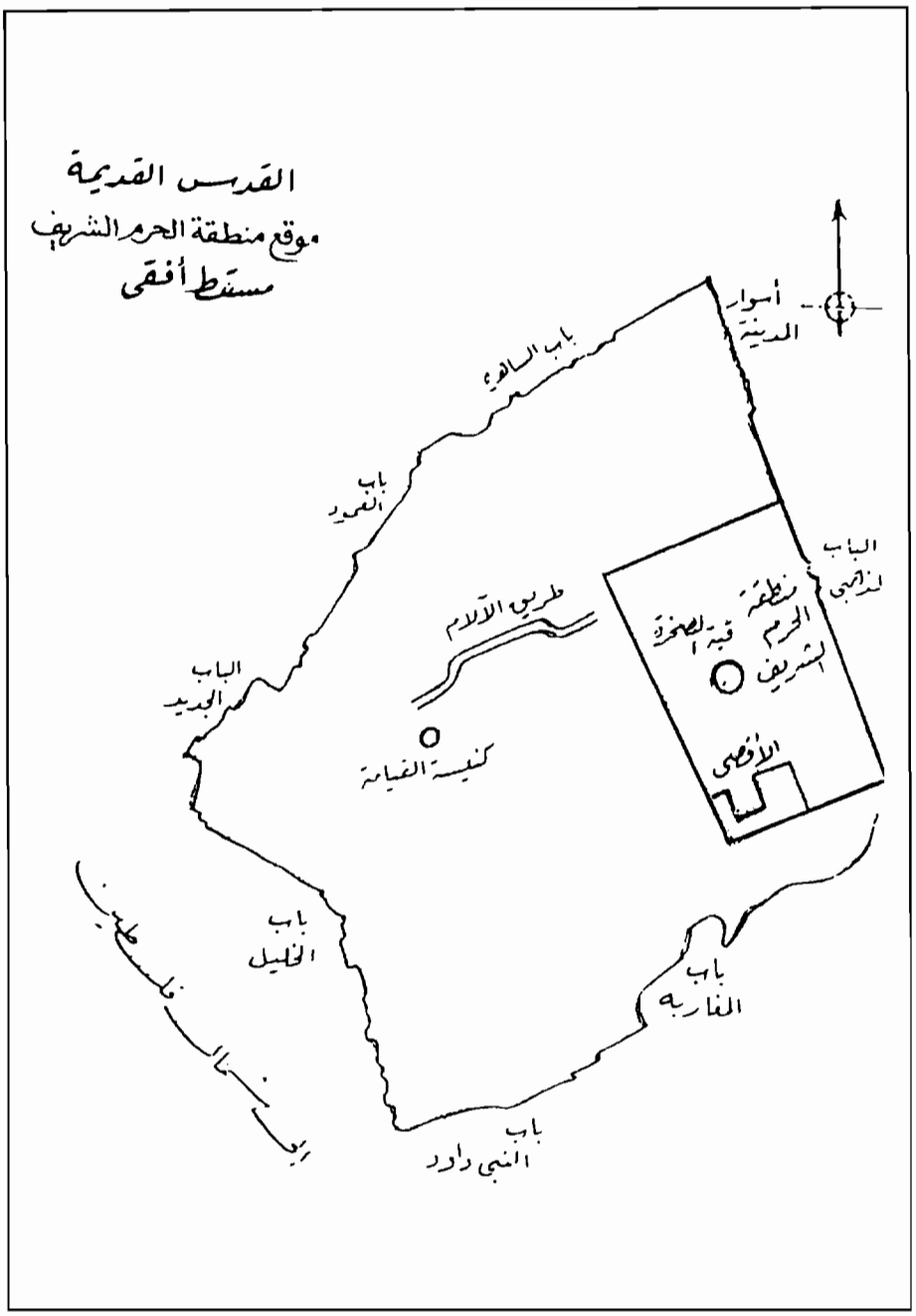

شكل رقم 3 : نقلا عن «حول القدس وتراثها الثقافي» (في إطار الحوار الإسلامي ـ المسيحي) ، الرباط ، منشورات المنظمة الإسلامية ، ايسيسكو ، 1995م ، ص 300 .

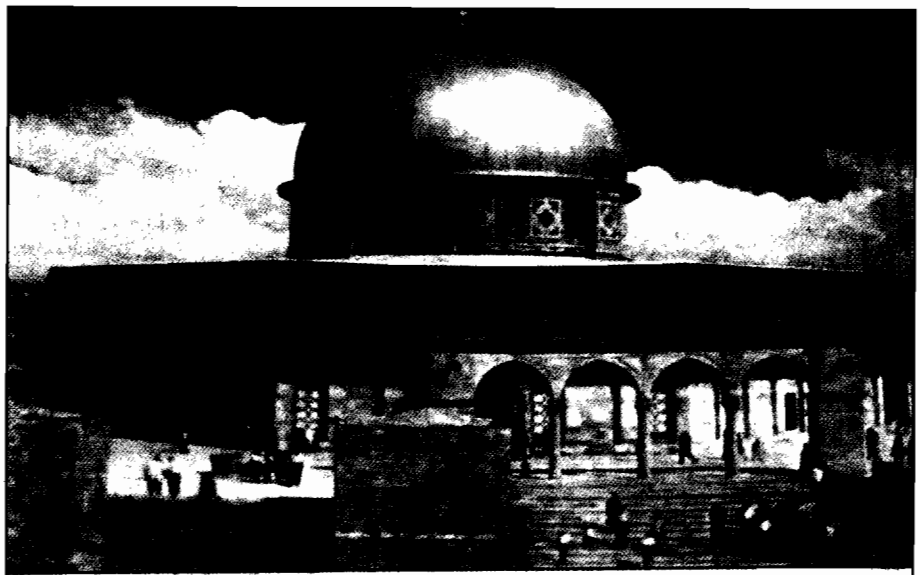

★ مسجد قبة الصخرة المشرفة بني سنة ٧٢ هـ

شكل رقم 4 : نقلا عن كتاب محمد غوشة ، القدس الشامخة عبر التاريخ ، الكويت ، مطابع الخط ، 1989م ، ص44 .

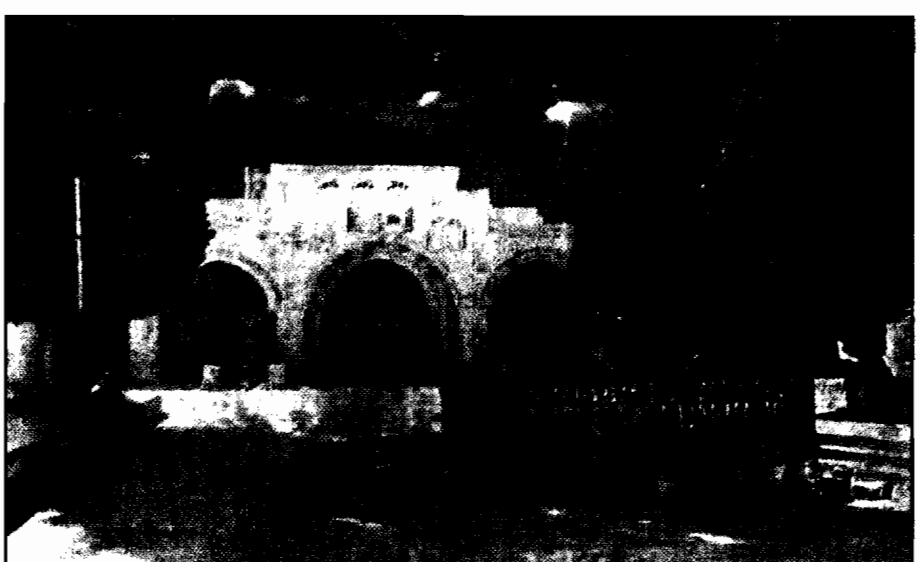

★ المسجد الأقصى المبارك بني سنة ٧٤ هـ

شكل رقم 5 : نقلا عن كتاب محمد غوشة ، القدس الشامخة عبر التاريخ ، الكويت ، مطابع الخط ، 1989م ، ص44 .

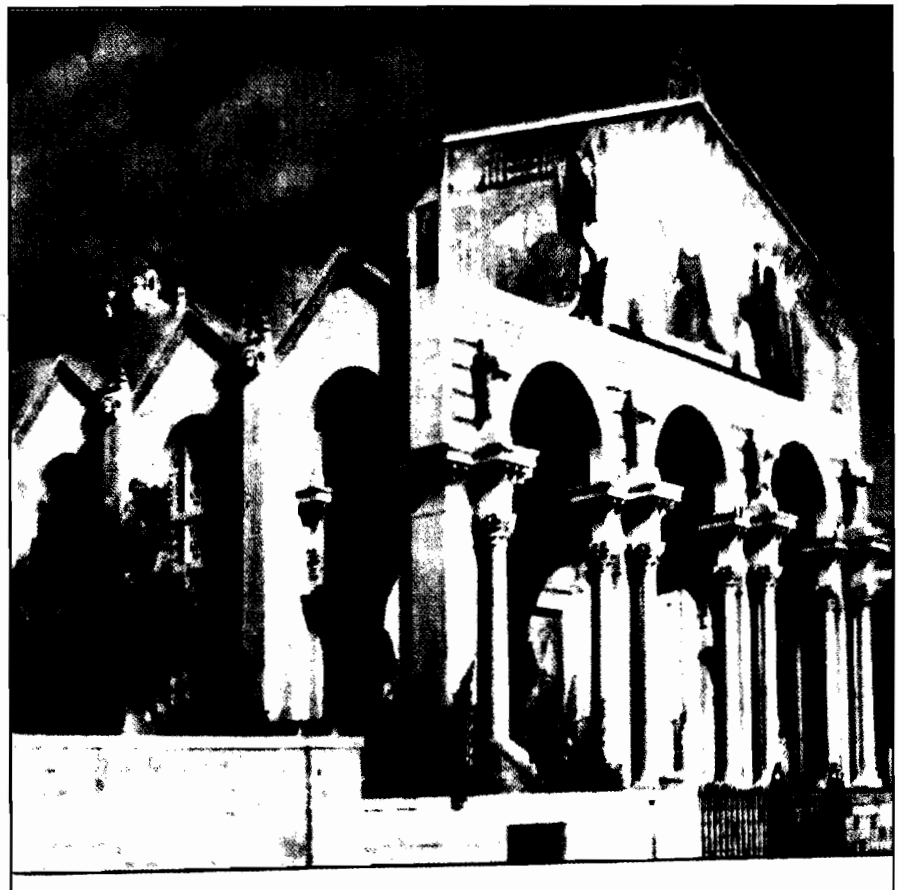

★ كنيسة الجسمانية.

شكل رقم 6 : نقلا عن كتاب محمد غوشة ، القدس الشامخة عبر التاريخ ، الكويت ، مطابع الخط ، 1989م ، ص212 .

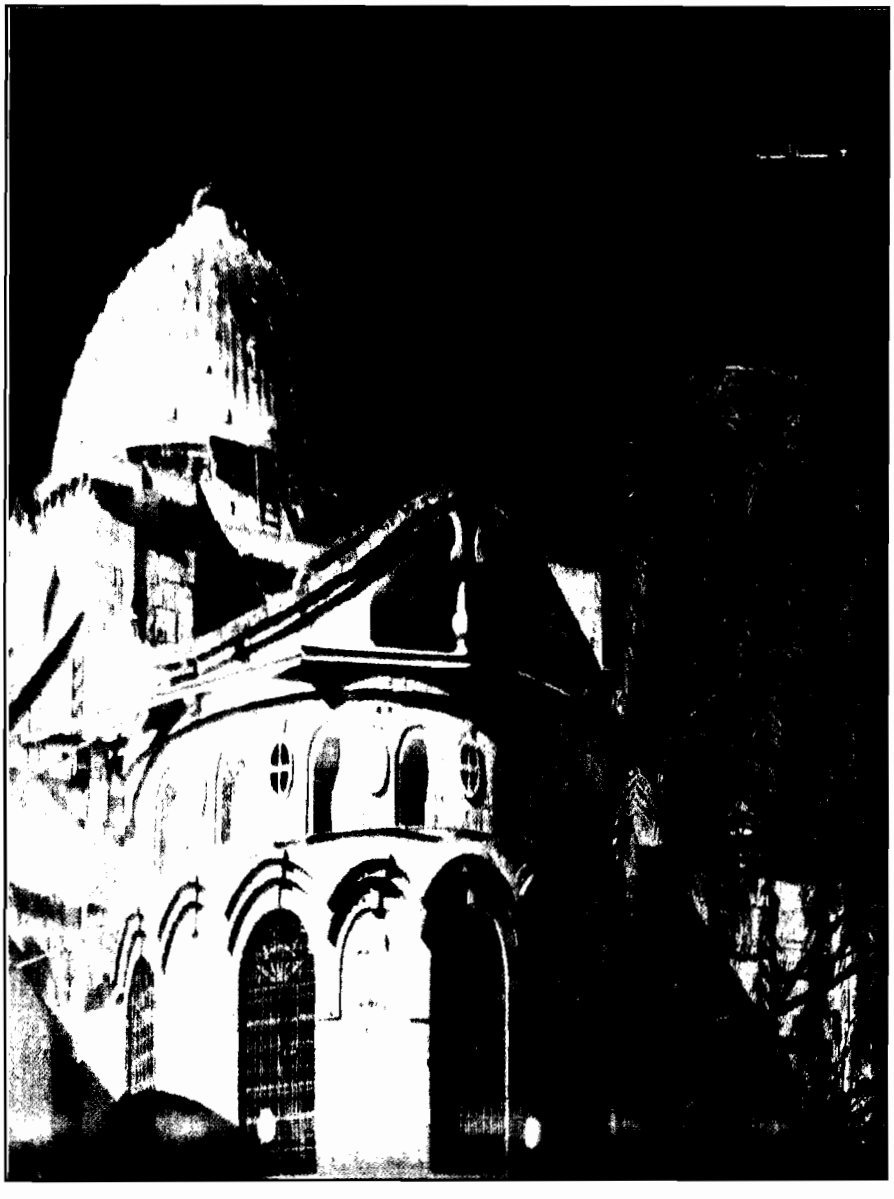

شكل رقم 7 : نقلا عن كتاب محمد غوشة ، القدس الشامخة عبر التاريخ ، الكويت ، مطابع الخط ، 1989م ، ص213 .

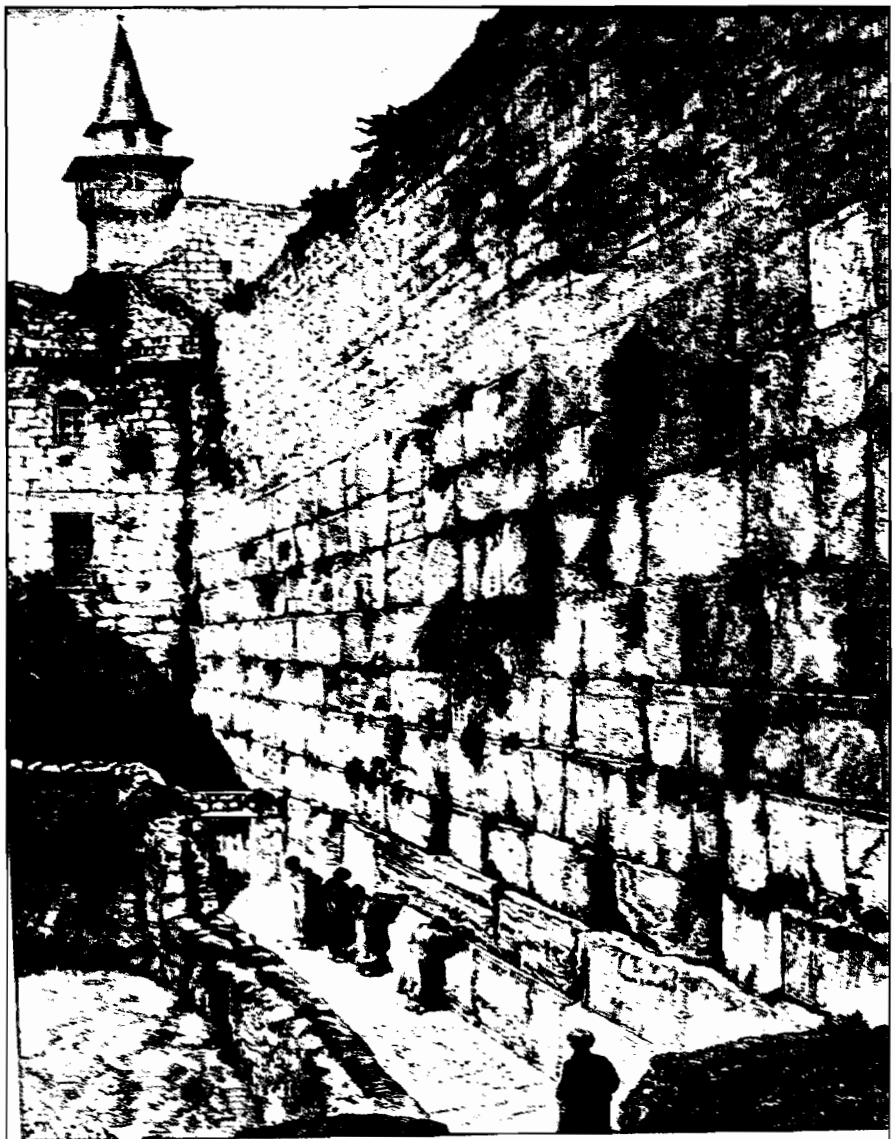

★ صورة لحائط البراق قديما

شكل رقم 8 : نقلا عن كتاب محمد غوشة ، القدس الشامخة عبر التاريخ ، الكويت ، مطابع الخط ، 1989م ، ص135 .